«قلم المدادسة» في المنفى وحلم بعودة قريبة إلى رياض الطفولة

صفوف افتراضية تجمع أطفالا من الضفة وغزة والشتات في فلسطين المحتلة وتعيد للمعلمات دورهن المفقود

ريم أبو لبدة ـ رام الله وغزة وعمان وبيروت

تابع ص 6 عمود 5

أطفال يتعلمون الحرف من بعيد

في الساعة العاشرة صباحا، تفتح المعلمة سلمى الخطيب حاسوبها المحمول في غرفة صغيرة بمخيم عين الحلوة، وتضع على الطاولة أمامها كتاب القراءة وقلم التلوين. وعلى الشاشة أمامها تظهر وجوه أطفال من مدن وقرى متفرقة، بعضهم لم يلتق بعضا من قبل، لكنهم يجلسون الآن في صف واحد. هذه ليست مدرسة بالمعنى المعروف، ولا روضة تقليدية، بل مساحة افتراضية أطلقتها مجموعة من المعلمات الفلسطينيات بعد أن وجدن أنفسهن خارج الصفوف، وأطفالهن خارج الحياة المنتظمة.

وتقول الخطيب، وهي تعدل وضع الكاميرا، إن الفكرة لم تأت من خطة مكتوبة، بل من سؤال بسيط طرحته طفلة على والدتها: لماذا لا تعود المعلمة إلى بيتها؟ وحين فكرت في الإجابة، أدركت أن كثيرا من الأطفال لا يعرفون أين تسكن معلماتهم، ولا يعرفون أن لهن حياة خارج الصف. من هذا الشعور الصغير بدأت المبادرة، التي سمتها المشاركات «قلم المدادسة»، في إشارة إلى الاسم الذي كان يطلق على المعلمات في القرى الفلسطينية قبل عقود.

وتضم المجموعة اليوم أكثر من 40 معلمة، بينها معلمات في الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء في لبنان وسوريا والأردن، إضافة إلى عدد من المعلمات اللواتي اضطررن إلى ترك مهنة التعليم بعد الحرب والنزوح. وتعمل كل معلمة مع مجموعة صغيرة لا تتجاوز 12 طفلا، وفق جدول أسبوعي ثابت يعرفه الأهل مسبقا. ولا يوجد في المنصة أي إعلان أو محتوى ترفيهي، فالهدف ليس المشاهدات، بل استعادة العلاقة بين المعلمة وتلميذها.

وتروي المعلمة رنا الشوبكي، التي تدرس أطفالا في مخيم البداوي شمال لبنان، أن أحد الأطفال رفض الدخول إلى الحصة لأسابيع، واكتفى بالجلوس صامتا أمام الشاشة. وبعد محاولات كثيرة، طلبت منه أن يرسم لها بيته، فرسم خيمة وطريقا ترابيا. تقول: «لم أكن أريد أن أعرف كم كتابا يملك، بل أردت أن أعرف أين يشعر بالأمان، لأن من دون هذا الشعور لا يمكن أن يحدث أي تعلم حقيقي».

الحرب تغلق المدارس وتفتح أبوابا أخرى

وتعود فكرة المبادرة إلى أيام الحرب الأولى على غزة، حين وجدت المعلمات أنفسهن عاجزات عن التواصل مع طلابهن بعد أن تحولت حياة الجميع إلى نزوح متكرر وانقطاع دائم للكهرباء والإنترنت. وتقول المعلمة هبة أبو سمرة، التي فقدت منزلها في مدينة خان يونس وتعيش اليوم في خيمة قرب رفح، إن أطفالها كانوا يسألونها عن الدفاتر والألوان، بينما كانت هي تسأل عن الماء والدواء. وأضافت: «شعرت أن المدرسة لم تعد مكانا، بل صارت ذاكرة، وأردت أن أعيد لهم شيئا من هذه الذاكرة قبل أن يكبروا ويظنوا أن الحرب هي كل ما يعرفونه».

وتعتمد المبادرة على تطوعية كاملة، إذ لا تتقاضى المعلمات أي أجور، وتعمل كل واحدة منهن في وقت فراغها بين النزوح والعمل المؤقت. وتوفر المنصة المجانية التي تستخدمها المجموعة أدوات بسيطة للتفاعل، من بينها لوحات الرسم والقصص المصورة، إضافة إلى غرف صوتية صغيرة لا تتسع لأكثر من 15 مشاركا. وتقول المشرفة العامة على المبادرة، المعلمة ريم الخطيب، إن الهدف ليس التوسع السريع، بل الحفاظ على الجودة والعلاقة الشخصية، حتى لو بقي عدد الأطفال محدودا.

وتشير الخطيب إلى أن المبادرة تلقت طلبات انضمام من أكثر من 200 طفل خلال أسابيع قليلة، لكن الفريق اضطر إلى الاعتذار عن كثير منها بسبب ضيق الوقت وكثرة المتطلبات. وتقول: «كنا نريد أن نكبر، لكننا أدركنا أن الجودة أهم من الأرقام، وأن طفلا واحدا نفقده بسبب الانقطاع يعني لنا الكثير». وتضيف أن الفريق يعمل حاليا على بناء قاعدة بيانات بسيطة تساعد المعلمات على متابعة تقدم كل طفل دون الحاجة إلى تسجيلات أو اختبارات رسمية.

تحديات الفجوة الرقمية والتمويل

ولا تخفي المشرفات التحديات التي تواجه المشروع، وأبرزها الفجوة الرقمية بين الأطفال، إذ لا يملك كثير من أسر المخيمات سوى هاتف واحد أو جهاز لوحي يتشاركه عدة إخوة. وتقول المعلمة رنا الشوبكي إن بعض الحصص تضطر إلى الانعقاد في أوقات غير مناسبة، مثل ساعات الليل، لأن الأم لا تجد وقتا آخر خالية من الأعمال المنزلية. وتضيف أن الفريق يحاول تعويض ذلك بتسجيل الحصص وإرسالها لاحقا، لكن هذا الحل يفقد جزءا كبيرا من قيمته التفاعلية.

أما التمويل، فيبقى التحدي الأكبر. فحتى الآن، تعتمد المبادرة على تبرعات صغيرة من أفراد ومجموعات نسوية، ولم تحصل على أي دعم مؤسسي منتظم. وتقول الخطيب إن الفريق يدرس فتح حساب شفاف لجمع التبرعات، لكنه يرفض أي شروط قد تمس استقلالية المعلمات أو تفرض عليهن رسائل لا يؤمنن بها. وتختم بالقول إن الهدف الأول هو أن يعود الأطفال إلى الشعور بأن هناك من يسأل عنهم، وأن يتعلموا أن الحرب لم تسرق منهم كل شيء.

تابع ص 6 عمود 6

مدارس بلا جدران

وتعتمد المبادرة على منصة مجانية بسيطة تتيح للمعلمات إنشاء غرف صوتية صغيرة لا تتسع لأكثر من 15 مشاركا، وتوزيع الأطفال على مجموعات حسب العمر والمستوى. ولا توجد في المنصة أي إعلانات أو محتوى ترفيهي، فالهدف ليس المشاهدات، بل استعادة العلاقة بين المعلمة وتلميذها. وتقول المعلمة رنا الشوبكي، التي تدرس أطفالا في مخيم البداوي شمال لبنان، إن أحد الأطفال رفض الدخول إلى الحصة لأسابيع، واكتفى بالجلوس صامتا أمام الشاشة. وبعد محاولات كثيرة، طلبت منه أن يرسم لها بيته، فرسم خيمة وطريقا ترابيا. تقول: «لم أكن أريد أن أعرف كم كتابا يملك، بل أردت أن أعرف أين يشعر بالأمان، لأن من دون هذا الشعور لا يمكن أن يحدث أي تعلم حقيقي».

وتعود فكرة المبادرة إلى أيام الحرب الأولى على غزة، حين وجدت المعلمات أنفسهن عاجزات عن التواصل مع طلابهن بعد أن تحولت حياة الجميع إلى نزوح متكرر وانقطاع دائم للكهرباء والإنترنت. وتقول المعلمة هبة أبو سمرة، التي فقدت منزلها في مدينة خان يونس وتعيش اليوم في خيمة قرب رفح، إن أطفالها كانوا يسألونها عن الدفاتر والألوان، بينما كانت هي تسأل عن الماء والدواء. وأضافت: «شعرت أن المدرسة لم تعد مكانا، بل صارت ذاكرة، وأردت أن أعيد لهم شيئا من هذه الذاكرة قبل أن يكبروا ويظنوا أن الحرب هي كل ما يعرفونه».

وتعتمد المبادرة على تطوعية كاملة، إذ لا تتقاضى المعلمات أي أجور، وتعمل كل واحدة منهن في وقت فراغها بين النزوح والعمل المؤقت. وتوفر المنصة المجانية التي تستخدمها المجموعة أدوات بسيطة للتفاعل، من بينها لوحات الرسم والقصص المصورة، إضافة إلى غرف صوتية صغيرة لا تتسع لأكثر من 15 مشاركا. وتقول المشرفة العامة على المبادرة، المعلمة ريم الخطيب، إن الهدف ليس التوسع السريع، بل الحفاظ على الجودة والعلاقة الشخصية، حتى لو بقي عدد الأطفال محدودا.

وتشير الخطيب إلى أن المبادرة تلقت طلبات انضمام من أكثر من 200 طفل خلال أسابيع قليلة، لكن الفريق اضطر إلى الاعتذار عن كثير منها بسبب ضيق الوقت وكثرة المتطلبات. وتقول: «كنا نريد أن نكبر، لكننا أدركنا أن الجودة أهم من الأرقام، وأن طفلا واحدا نفقده بسبب الانقطاع يعني لنا الكثير». وتضيف أن الفريق يعمل حاليا على بناء قاعدة بيانات بسيطة تساعد المعلمات على متابعة تقدم كل طفل دون الحاجة إلى تسجيلات أو اختبارات رسمية.

الفجوة الرقمية والتمويل

ولا تخفي المشرفات التحديات التي تواجه المشروع، وأبرزها الفجوة الرقمية بين الأطفال، إذ لا يملك كثير من أسر المخيمات سوى هاتف واحد أو جهاز لوحي يتشاركه عدة إخوة. وتقول المعلمة رنا الشوبكي إن بعض الحصص تضطر إلى الانعقاد في أوقات غير مناسبة، مثل ساعات الليل، لأن الأم لا تجد وقتا آخر خالية من الأعمال المنزلية. وتضيف أن الفريق يحاول تعويض ذلك بتسجيل الحصص وإرسالها لاحقا، لكن هذا الحل يفقد جزءا كبيرا من قيمته التفاعلية. أما التمويل، فيبقى التحدي الأكبر. فحتى الآن، تعتمد المبادرة على تبرعات صغيرة من أفراد ومجموعات نسوية، ولم تحصل على أي دعم مؤسسي منتظم. وتقول الخطيب إن الفريق يدرس فتح حساب شفاف لجمع التبرعات، لكنه يرفض أي شروط قد تمس استقلالية المعلمات أو تفرض عليهن رسائل لا يؤمنن بها. وتختم بالقول إن الهدف الأول هو أن يعود الأطفال إلى الشعور بأن هناك من يسأل عنهم، وأن يتعلموا أن الحرب لم تسرق منهم كل شيء.

تابع ص 6 عمود 5

أطفال يتعلمون الحرف من بعيد

في الساعة العاشرة صباحا، تفتح المعلمة سلمى الخطيب حاسوبها المحمول في غرفة صغيرة بمخيم عين الحلوة، وتضع على الطاولة أمامها كتاب القراءة وقلم التلوين. وعلى الشاشة أمامها تظهر وجوه أطفال من مدن وقرى متفرقة، بعضهم لم يلتق بعضا من قبل، لكنهم يجلسون الآن في صف واحد. هذه ليست مدرسة بالمعنى المعروف، ولا روضة تقليدية، بل مساحة افتراضية أطلقتها مجموعة من المعلمات الفلسطينيات بعد أن وجدن أنفسهن خارج الصفوف، وأطفالهن خارج الحياة المنتظمة. وتقول الخطيب، وهي تعدل وضع الكاميرا، إن الفكرة لم تأت من خطة مكتوبة، بل من سؤال بسيط طرحته طفلة على والدتها: لماذا لا تعود المعلمة إلى بيتها؟ وحين فكرت في الإجابة، أدركت أن كثيرا من الأطفال لا يعرفون أين تسكن معلماتهم، ولا يعرفون أن لهن حياة خارج الصف. من هذا الشعور الصغير بدأت المبادرة، التي سمتها المشاركات «قلم المدادسة»، في إشارة إلى الاسم الذي كان يطلق على المعلمات في القرى الفلسطينية قبل عقود.

وتضم المجموعة اليوم أكثر من 40 معلمة، بينها معلمات في الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء في لبنان وسوريا والأردن، إضافة إلى عدد من المعلمات اللواتي اضطررن إلى ترك مهنة التعليم بعد الحرب والنزوح. وتعمل كل معلمة مع مجموعة صغيرة لا تتجاوز 12 طفلا، وفق جدول أسبوعي ثابت يعرفه الأهل مسبقا. ولا يوجد في المنصة أي إعلان أو محتوى ترفيهي، فالهدف ليس المشاهدات، بل استعادة العلاقة بين المعلمة وتلميذها. وتقول المعلمة رنا الشوبكي، التي تدرس أطفالا في مخيم البداوي شمال لبنان، إن أحد الأطفال رفض الدخول إلى الحصة لأسابيع، واكتفى بالجلوس صامتا أمام الشاشة. وبعد محاولات كثيرة، طلبت منه أن يرسم لها بيته، فرسم خيمة وطريقا ترابيا. تقول: «لم أكن أريد أن أعرف كم كتابا يملك، بل أردت أن أعرف أين يشعر بالأمان، لأن من دون هذا الشعور لا يمكن أن يحدث أي تعلم حقيقي».

وتعود فكرة المبادرة إلى أيام الحرب الأولى على غزة، حين وجدت المعلمات أنفسهن عاجزات عن التواصل مع طلابهن بعد أن تحولت حياة الجميع إلى نزوح متكرر وانقطاع دائم للكهرباء والإنترنت. وتقول المعلمة هبة أبو سمرة، التي فقدت منزلها في مدينة خان يونس وتعيش اليوم في خيمة قرب رفح، إن أطفالها كانوا يسألونها عن الدفاتر والألوان، بينما كانت هي تسأل عن الماء والدواء. وأضافت: «شعرت أن المدرسة لم تعد مكانا، بل صارت ذاكرة، وأردت أن أعيد لهم شيئا من هذه الذاكرة قبل أن يكبروا ويظنوا أن الحرب هي كل ما يعرفونه».

وتعتمد المبادرة على تطوعية كاملة، إذ لا تتقاضى المعلمات أي أجور، وتعمل كل واحدة منهن في وقت فراغها بين النزوح والعمل المؤقت. وتوفر المنصة المجانية التي تستخدمها المجموعة أدوات بسيطة للتفاعل، من بينها لوحات الرسم والقصص المصورة، إضافة إلى غرف صوتية صغيرة لا تتسع لأكثر من 15 مشاركا. وتقول المشرفة العامة على المبادرة، المعلمة ريم الخطيب، إن الهدف ليس التوسع السريع، بل الحفاظ على الجودة والعلاقة الشخصية، حتى لو بقي عدد الأطفال محدودا.

وتشير الخطيب إلى أن المبادرة تلقت طلبات انضمام من أكثر من 200 طفل خلال أسابيع قليلة، لكن الفريق اضطر إلى الاعتذار عن كثير منها بسبب ضيق الوقت وكثرة المتطلبات. وتقول: «كنا نريد أن نكبر، لكننا أدركنا أن الجودة أهم من الأرقام، وأن طفلا واحدا نفقده بسبب الانقطاع يعني لنا الكثير». وتضيف أن الفريق يعمل حاليا على بناء قاعدة بيانات بسيطة تساعد المعلمات على متابعة تقدم كل طفل دون الحاجة إلى تسجيلات أو اختبارات رسمية.

الفجوة الرقمية والتمويل

ولا تخفي المشرفات التحديات التي تواجه المشروع، وأبرزها الفجوة الرقمية بين الأطفال، إذ لا يملك كثير من أسر المخيمات سوى هاتف واحد أو جهاز لوحي يتشاركه عدة إخوة. وتقول المعلمة رنا الشوبكي إن بعض الحصص تضطر إلى الانعقاد في أوقات غير مناسبة، مثل ساعات الليل، لأن الأم لا تجد وقتا آخر خالية من الأعمال المنزلية. وتضيف أن الفريق يحاول تعويض ذلك بتسجيل الحصص وإرسالها لاحقا، لكن هذا الحل يفقد جزءا كبيرا من قيمته التفاعلية. أما التمويل، فيبقى التحدي الأكبر. فحتى الآن، تعتمد المبادرة على تبرعات صغيرة من أفراد ومجموعات نسوية، ولم تحصل على أي دعم مؤسسي منتظم. وتقول الخطيب إن الفريق يدرس فتح حساب شفاف لجمع التبرعات، لكنه يرفض أي شروط قد تمس استقلالية المعلمات أو تفرض عليهن رسائل لا يؤمنن بها. وتختم بالقول إن الهدف الأول هو أن يعود الأطفال إلى الشعور بأن هناك من يسأل عنهم، وأن يتعلموا أن الحرب لم تسرق منهم كل شيء.